الفصل الثالث

كيف تحدث الحساسية:

كل واحد منا يعرف جيداً أعراض الحساسية مثل: سيلان الأنف، والعطاس، والحكة في الأنف والحلق والأذنين والعينين، وحكة الجلد مع طفح أحمر. وبينما يمكن أن تحدث هذه الأعراض عن أشياء أخرى مهيجة للجسم مثل: الفلفل الأسود مثلاً، وينتج عنها إفراز مادة طبيعية في الجسم اسمها (هستامين) فإنها لا تعد حساسية بالمعنى الصحيح. والسبب في ذلك أن أي شخص يمكن أن يعطس وتدمع عيناه ويحك أنفه بعد شم الفلفل المطحون. أن تلك المواد المهيجة مثل: الدخان والفلفل والروائح القوية التي ينتج عنها إفراز مادة الهستامين بطريقة غير مناعية يمكن معرفتها بسهولة، فإنها ليست ذات أهمية كبرى بما يتعلق بالحساسية.

ومع أن المصابين بالحساسية يعانون من تلك المهيجات فإن أكبر مشاكلهم هي غبار الطلع والفطريات والأطعمة والحيوانات والأدوية وأنواع الحشرات التي ما هي إلا أمثلة قليلة من أمثلة مسببات الحساسية الموجودة في البيئة. والذي يميز الأشخاص المصابين بالحساسية عن غيرهم هو عامل الوراثة أو تكوين الجسم الذي يجعلهم معرضين للإصابة بالحساسية، وقدرتهم الغريبة والخاصة

على تكوين أجسام الحساسية عند تعرضهم للأشياء العادية مثل: الزهور والغبار.. إلخ الموجودة في بيئتهم؛ فعندما يتعرض الإنسان ذو الاستعداد الفطري للإصابة بالحساسية إلى غبار (لقاح) طلع بعض النباتات، فإن خلايا معينة موجودة في الدم وتسمى الخلايا السمينة ((Mast Cells) تكوّن أجسام الحساسية المضادة (اي.جي. اي IGE).

وفي البداية يكون تركيز هذه الأجسام قليلاً ثم تزداد مع تكرار التعرض للمسببات، وينتج عن ذلك إفراز مواد كيماوية وهرمونات من تلك الخلايا، أهمها مادة الهستامين Histamine، وهرمونات أخرى ينتج عنها أعراض الحساسية المعروفة. فمثلاً في حالة حساسية الأنف يحدث تورّم في الأغشية المخاطية مع انسداد وزيادة في الإفرازات وحكة وضعف في الشم. وفي حالة الربو ينتج زيادة في إفرازات البلغم، وتورّم مع انقباض في القصبات مما ينتج عنه صعوبة في التنفس وسعال وأحياناً أزيز (صفير) في التنفس أو كتمة. وفي المعتاد فإن التحسس وظهور الأعراض يحدث ما بين ٦ شهور إلى ٢٤ شهراً من بداية التعرض للمسببات. ويلاحظ هذا واضحاً عندما ينتقل الشخص المصاب بالحساسية إلى بيئة جديدة مختلفة، فإنه يتحسن لمدة ستة شهور إلى سنتين، ثم ما تلبث أن تظهر الحساسية للأشياء الموجودة في البيئة الجديد؛ ولهذا السبب فإنه نادراً ما أنصح الأشخاص المصابين بالحساسية بتغيير بيئتهم كوسيلة لعلاج الحساسية.

فإذاً بإمكاننا تلخيص حدوث الحساسية كالآتي:

١- الحساسية مرتبطة بتكوين أجسام مناعية.

٢- أعراض الحساسية مسببة عن وجود أجسام مناعية خاصة تعرف بـ (آي.جي. إي IGE) يجعل بعض أنواع الخلايا تفرز مادة الهستامين (ولهذا نستعمل مضادات الهستامين في معالجة الحساسية) عند تفاعلها مع المسببات.

٣- عامل الوراثة مهم في حدوث الحسابية، وتصيب الحاسية في أي شكل من أشكالها ١٠-٣١٪ من السكان والنسبة تختلف من بيئة إلى بيئة ومن بلد إلى بلد.

بالإضافة إلى ذلك فإن هناك عوامل أخرى كثيرة بعضها معروف والآخر غير معروف تتسبب في حدوث واستمرار الحساسية؛ فمثلاً هناك أشخاص يعزون إصابتهم بالحساسية لأول مرة بعد الإصابة بالتهاب فيروسي كما يحدث، بعد النزلات الشعبية، أو بعد التعرض لأبخرة مواد كيماوية قوية، أو استنشاق غبار أو حتى صدمة نفسية.

فكما رأينا سابقاً فإن أعراض العطاس والحكة وسيلان الأنف والدمع.. إلخ إما أن تكون مسببة من عوامل مهيجة لا تتسبب في تكوين (أجسام حساسية) مثل: الدخان وتلوث الهواء، وتغيرات درجة الحرارة والرطوبة والروائح العطرية، وهذا يدعى أحياناً حساسية

طبيعية بالمقارنة بالحساسية المناعية. أو أن تكون مسببة عن غبار الطلع وغبار البيت وشعور الحيوانات والأدوية وبعض الأطعمة، وينتج عنها تكوين أجسام مناعية خاصة (أجسام الحساسية IGE) بمعناها المعروف لدى اختصاصي الحساسية. فإذن لابد من التحسس أولاً ثم التعرّض للمسبب مرات متكررة حتى تحدث أعراض الحساسية. وحتى يصبح الإنسان مصاباً بالحساسية لابد من توفر عاملين اثنين:

أولهما: الاستعداد الفطري (الوراثة).

وثانيهما: عوامل البيئة المناسبة.

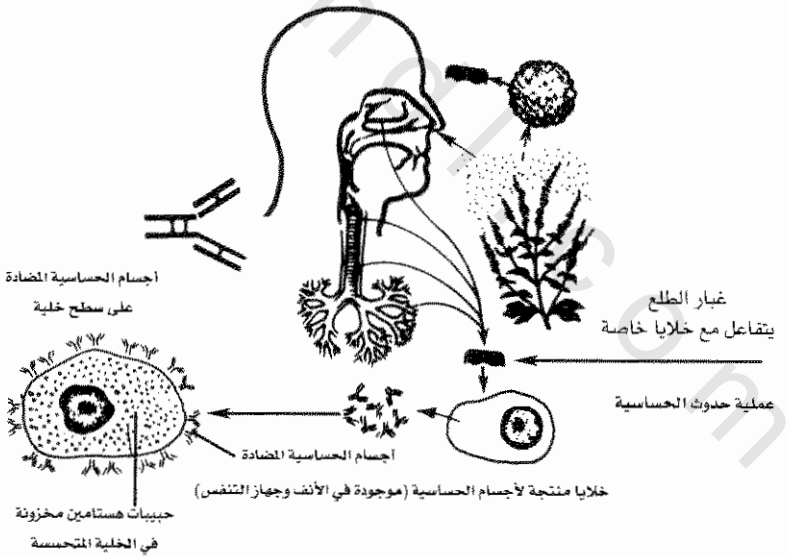

التحسس وتكوين أجسام الحساسية المضادة أولاً

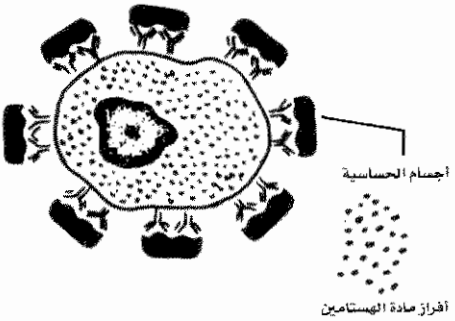

عند التعرض المتكرر يحدث التفاعل

فمثلاً لو أن شخصاً معرّضاً للإصابة بالحساسية بسبب الوراثة عاش في منطقة خالية من النباتات والحيوانات ومسببات الحساسية الأخرى فإن هذا الإنسان لا يصاب بالحساسية والعكس صحيح. أي أن الشخص السليم (خال من عامل الوراثة) إذا عاش في بيئة مليئة بمسببات الحساسية فإنه لن يصاب بالحساسية.

وهناك دليل على أن الإصابة بالحساسية يصاحبها أو يسبقها تغيرات في مناعة الجسم تجعل الخلايا التي تكون أجسام الحساسية أكثر نشاطاً. وهذا النشاط يمكن تغييره بطرق المعالجة الحديثة بحيث يقل إنتاج أجسام الحساسية، وكذلك تصبح تلك الخلايا المُفْرِزَة للهستامين أقل حساسية لمؤثرات البيئة.